



حفظ الله للقرآن

الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد الصباغ

حفظ الله للقرآن

كتبه الفقير إلى عفوريته الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبدولة لعموم المسلمين

١٤٤٦ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه رسالة مختصرة مكونة من ثلاثة عشر مبحثاً في بيان كيفية
حفظ الله تعالى للقرآن الذي هو رسالة الله الأخيرة إلى خلقه حتى
تقوم الساعة؛ فإنه لا نبي بعد محمد ﷺ، ولا كتاب بعد القرآن.



وفي الأزمنة الماضية كان الله يستحفظُ كلَّ أمةٍ على كتابها، فإذا تطرقت إليه يدُ التحريف والتبديل نسخَه وأوحى بغيره إلى نبيٍّ آخر، ولما كان النبيُّ محمد ﷺ آخرَ الأنبياء والقرآنُ خاتمةَ الكتب تكفلَ اللهُ بنفسه بحفظ كتابه، فقال: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُوَلِّحَفِظُون}** { [الحجر: ٩]، فحفظه اللهُ في صدور مَنْ شاء من عباده، وحفظه في المصاحف، وقد أنزله اللهُ على أمةٍ أُمِّيَّةٍ تعتمد على السماع والحفظ، ومكَّنه في قلب النبيِّ ﷺ، وكان جبريلُ عليه السلام ينزلُ في كلِّ رمضان يُدارسه جميعَ ما نزل من القرآن، وعلمه النبيُّ ﷺ للصحابة بنفسه، وحثَّهم على الحفظ والإتقان، وقام الصحابةُ بتعليمه، بعد أن رسخ في صدورهم قولاً وعملاً، روايةً ودرايةً، فكثُرَ الحُفَّاظُ من الصحابة ثم من بعدهم إلى يومنا هذا وحتى يوم الدين، فنقله الجموعُ الغفيرةُ عن الجموعِ الكثيرة في كلِّ عصرٍ ومصرٍ.

وقد أمر النبيُّ ﷺ بكتابة القرآن في زمنه، وأملاه على الكتبة، ثم جمعه أبو بكرٍ والصحابةُ في مصحفٍ واحدٍ، ثم جمعه عثمانُ والصحابةُ، وأعادوا كتابته على نسقٍ واحدٍ وبخطٍّ واحدٍ.

حفظ الله للقرآن

والمصحف هو المصحف منذ زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا بجميع كلماته وحروفه وسوره من غير زيادة ولا نقصان حرف منه، فالله هو الذي تكفل بحفظه.

وشاء الله بقدرته أن ينتشر الإسلام في ربوع الدنيا، وتبنى المساجد والمحارب ومدارس التحفيظ في بلاد العرب والعجم، ويحفظ القرآن العربي والعجمي، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، والصحيح والسقيم، والمبصر والضّرير، عن ظهر قلب، بكل قراءاته المتواترة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى.

كما تشتمل هذه الرسالة على فوائد مهمة في جمع القرآن وعدد سوره، وفي الرد على مطاعن النصارى والرافضة في القرآن، مع بيان مختصر للدليل على أن القرين هو كلام الرحيم الرحمن، وبيان الحكمة من وراء تكفل الله تعالى بحفظه دون غيره من الكتب.

هذا، والله من وراء القصد، نسأل الله العليّ القدير أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب همومنا وغمومنا وأحزاننا، وأن يجعلنا من أهل القرآن، ومن أهله وخاصته سبحانه وتعالى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



المبحث الأول

كيف حفظ الله القرآن في الصدور والمصاحف؟

القرآن الكريم كتاب الله المحفوظ من كل تحريف أو تناقض؛ لأن الله هو الذي تكفل بحفظه بنفسه، قال الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤١-٤٢]، وقد هيأ الله الأسباب التي حفظ بها كتابه، ونذكرها على النحو الآتي:

١ - نزوله في أمة أمية تعتمد على السماع والحفظ القلبي طريقاً لحفظ تراثها وأشعارها وأنسابها، فراعى الله أحوالهم، وأنزله عليهم منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، فسهل عليهم حفظه، قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾} [الفرقان: ٣٢]،

وقال تعالى: {وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٧﴾} [الإسراء: ١٠٦].

٢- تمكينه في قلب النبي ﷺ الذي حرص على تلقّيه بعناية وحفظ، فطمأن الله قلبه، وأعلمه أنه محفوظ في قلبه بحفظ الله له، قال سبحانه: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٤﴾} [طه: ١١٤]، وقال سبحانه: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٦-١٩]، فقد أمره الله أن يستمع له، وتكفل له بجمعه في صدره، ويسر له أدائه كما تلقاه، وتفسيره، وتوضيحه لأمتيه^(١).

٣- نزول جبريل في كل عام في شهر رمضان يُدارسه القرآن المنزل عليه كاملاً، حتى إذا كان العام الذي مات فيه عارضه بالقرآن مرتين^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، مسلم (٢٣٠٨).

٤- تعلیمُ النَّبِيِّ ﷺ وإِقْرَآؤُهُ بِنَفْسِهِ لِأَصْحَابِهِ كُلَّمَا نَزَلَ عَلَيْهِ

خِلَالَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ عَامًا وَتَحْفِيزُهُمْ، كَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ،
وغيرهم ﷺ.

قال ابن مسعود: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا
وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ
بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ^(١)!

وقال ابن عباسٍ ﷺ: تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ،
وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ^(٢).

وقال الحسن ﷺ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعِ مَا يَرِيكَ
إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٣).

وقال ﷺ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُبُوتِ
الْوَتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي

^(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢).

^(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣٥).

^(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٨).

فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»^(١).

٥ - أمره للصَّحَابَةِ الْحُقَاطِ رضي الله عنهم أَنْ يُحَفِّظُوا وَيُعَلِّمُوا غَيْرَهُمْ:

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُشْغَلُ، فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِّنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ، فَدَفَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا، فَكَانَ مَعِيَ فِي الْبَيْتِ أَعَشِيهِ عِشَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَكُنْتُ أَقْرُؤُهُ الْقُرْآنَ، فَانْصَرَفَ انْصِرَافَةً إِلَى أَهْلِهِ، فَرَأَى أَنَّ عَلَيْهِ حَقًّا فَأَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا لَمْ أَرِ أَجُودَ مِنْهَا عُودًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا عِطْفًا، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا؟ قَالَ: «جَمْرَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْكَ تَقْلِدُتُهَا»، أَوْ: «تَعَلَّقَتْهَا»^(٢).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ رِعْلٌ، وَذَكَوَانٌ، وَعُصِيَّةٌ، وَبَنُو لِحْيَانَ فَرَزَعُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا، فَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى

^(١) أخرجه أحمد (١٧٨).

^(٢) أخرجه أحمد (٢٢٧٦٦).

قَوْمِهِمْ، فَأَمَدَّهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ - قَالَ أَنَسٌ:
 كُنَّا نُسَمِّيهِمْ فِي زَمَانِهِمُ الْقُرَاءَ كَانُوا يَحْطُبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ
 بِاللَّيْلِ - فَانْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى إِذَا أَتَوْا بِئْرَ مَعُونَةَ، غَدَرُوا بِهِمْ،
 فَقَتَلُوهُمْ، فَقَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَدْعُو عَلَى
 هَذِهِ الْأَحْيَاءِ: رِغْلٍ، وَذَكَوَانٍ، وَعُصِيَّةٍ، وَبَنِي لِحْيَانَ. قَالَ: قَالَ قَتَادَةُ:
 وَحَدَّثَنَا أَنَسٌ: أَنَّهُمْ قَرَأُوا بِهِ قُرْآنًا - وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ فِي حَدِيثِهِ: إِنَّا
 قَرَأْنَا بِهِمْ قُرْآنًا -: «بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَّا
 وَأَرْضَانَا»، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ بَعْدُ. وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ، أَوْ
 رُفِعَ^(١).

٦ - حَرَصُ الصَّحَابَةِ الشَّدِيدُ عَلَى تَتَبُعِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي
 كُلِّ يَوْمٍ، وَلَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَعَلَى حِفْظِهِ
 وَإِتْقَانِهِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَقِرَاءَتِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَصَلَاةِ اللَّيْلِ.

قال عمر رضي الله عنه: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ
 زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاقَشُ النَّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

^(١) أخرجه أحمد (١٢٠٦٤).

﴿﴾، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلَتْ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ^(١).

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كِتَابَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِهَا، فَتَقُولُ: نَعَمْ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُقَتِّشْ لَنَا كَنْفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ»، فَلَقِيْتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرُ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا». قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ: صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ لَيَالٍ مَرَّةً»^(٢).

^(١) أخرجه البخاري (١٨٩).

^(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥٢).

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يُحيي الليل كله بركعة واحدة يجمع فيها القرآن^(١).

وقرأ القرآن كله من قلبه في ركعة واحدة بالكعبة المشرفة.
كان أبي بن كعب رضي الله عنه يختم في ثمان ليالٍ، ويختم تميم الداري رضي الله عنه في كل سبع وأحياناً كل ليلة^(٢).

قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفَقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرْ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ، إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ، أَوْ قَالَ: الْعَدُوَّ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ»^(٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما وَعَبْدُ اللَّهِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ النَّسَاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ هَذَا

^(١) حلية الأولياء (١/ ٥٧).

^(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٨).

^(٣) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢٤٩٩).

الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ عَلَيَّ قِرَاءَةً ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ قَعَدَ، ثُمَّ سَأَلَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ»^(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قُلْتُ: اقْرَأْ عَلَيَّكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ ﷺ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»^(٢).

٧- ترسيخُ النبي ﷺ الحفظ وتمكينه في صدور الصحابة قولاً وعملاً، روايةً ودرايةً:

عن أبي عبد الرحمن السلمي ﷺ قَالَ: «إِذَا كُنَّا نَتَعَلَّمُ الْعَشْرَ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نَتَعَلَّمِ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَمْرَهَا وَنَهْيَهَا»^(٣).

^(١) أخرجه أحمد (٤٢٥٥)، وابن أبي شيبة في المسند (٣٩٨).

^(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٩)، ومسلم (٨٠٠).

^(٣) أخرجه عبد الرزاق (٦٠٢٧).



٨- تعاھدُ النَّبِيُّ ﷺ بِإِقْرَاءِ الصَّحَابَةِ وَالسَّمَاعِ مِنْهُمْ:

قال النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قَالَ أُبَيُّ ﷺ: اللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي». فَجَعَلَ أُبَيُّ يَبْكِي^(١).

وسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قِرَاءَةَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ وقال له: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»^(٢).

٩- حَثُّهُمْ وَتَشْجِيعُهُمْ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَإِتْقَانِهِ وَتَعَلُّمِهِ، وَأَنْ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِيَّةِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٣)، وَقَالَ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ

^(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٠)، ومسلم (٧٩٩).

^(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

^(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

أَجْرَانِ»^(١)، وقال ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقرَأْ، وَاَرْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزَلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»^(٢).

١٠ - كثرة الحُفَاط من الصَّحابة والتابعين وأتباع التابعين إلى

يومنا هذا إلى أن يرفعَه الله، ومسارة الصحابة لحفظه ومدارسته ومن ذلك: القراء السبعون أصحابُ بئر معونة رضي الله عنهم، وقد مر ذكرُ قصَّتِهِمْ قَبْلَ قَلِيلٍ.

قال ﷺ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - فَبَدَأَ بِهِ - وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ»^(٣).

وكان الحُفَاطُ من الصحابة ﷺ كثيرين كأبي موسى، وابن مسعود، وعمر، وأبي بكر الرجل الأسيف الرقراق، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وجابر، وأنس، وبلال، وعمار، وصُهَيْب،

^(١) أخرجه مسلم (٧٩٨).

^(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤).

^(٣) أخرجه البخاري (٤٩٩٩، ٣٨٠٨)، ومسلم (٢٤٦٤).

وعائشة وزوجات النبي ﷺ، وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري.

قال عمر لأبي بكر بعد واقعة اليمامة: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَرَا جُعْنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِدَلِيلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ^(١).

وأشار عليه بجمع القرآن في مصحفٍ واحدٍ مما يدلُّ على كثرة الحفاظ من الصحابة وتابعيهم ﷺ.

^(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

١١ - اهتمام الصَّحابة والتابعين وعنايتُهُم بتعليم القرآن

وتحفيظه جيلاً بعدَ جيل:

أبو عبد الرحمن السُّلَمي تعلَّم القرآنَ على عثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهما، وظل يُقرئ القرآنَ ويُحفظُهُ ويعلمُهُ أربعين سنةً في المسجد.

مجاهد بن جبرٍ ختمَ القرآنَ على ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما تسعاً وعشرين مرةً.

أبو بكر بن عيَّاش ختم القرآنَ في بيته ثمانية عشر ألف مرة.
كان ابنُ المسيَّبِ يَخْتُمُ كُلَّ لَيْلَتَيْنِ، وكان الأسودُ النَّخَعِي يَخْتُمُ كُلَّ سِتِّ لَيَالٍ، وكان علقمةٌ يَخْتُمُ كُلَّ خَمْسِ لَيَالٍ، وكان عطاءُ بنُ السائبِ يَخْتُمُ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ، وكان ثابتُ البُناني يَخْتُمُ كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، وكان هذا حَالُ أَغْلَبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

١٢ - نُقِلَ الْقُرْآنُ إِلَيْنَا بِحِفْظِ الْجُمُوعِ عَنِ الْجُمُوعِ الَّتِي لَا

يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ فِي كُلِّ عَصْرٍِّ وَمِصْرٍ، فَحَفِظَهُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَطِفْلٍ وَشَابٍّ وَرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، لِيَتَحَقَّقَ



وصفُ الله تعالى للقرآن بقوله في الحديث القدسي: «وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَان»^(١).

ومن عظيم خصائص هذه الأمة؛ بل أشرف خصيصة كما يقول ابن الجزري: أن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، كما وصفت هذه الأمة: «أَنَا جِئْتُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ»^(٢).

حتى قال العلماء: لا تأخذ القرآن من مُصْحَفِيٍّ، ولا تأخذ العلم من صُحْفِيٍّ. أي: أن القرآن يُؤْخَذُ بالتلقي عن الشيوخ، لا بمجرد قراءته من المصحف، كما قال الله لنبيه ﷺ: {وَإِنَّكَ لَلتَّلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} [النمل: ٦]، {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤]، {لَا تُخْرِكَ بِهِ لِسَانَكَ لَتَعْجَلَ بِهِ} [١٦] إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ [١٧] فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ [١٨] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [١٩] [القيامة: ١٧-١٩].

^(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

^(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٤٦).

جعل الله دأب الأمة منذ الرّاعيل الأول من الصحابة إلى يومنا هذا هو الإقبال على حفظ كتاب الله، يقرؤونه غصًا كما أنزل على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم وأعمارهم بلسان العرب؛ ليتحقق وعده بحفظ كتابه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

فمئات الألوف ممن يحفظونه ليسوا من العرب، ولا من أهل اللغة العربية؛ بل حفظه من لا يكاد يعرف العربية أصلاً، ولا يفهم معانيها، فيقرؤه بلسان عربي مبين كما يقرؤه العربي سواء بسواء. هذه الأعجوبة القرآنية لا مثيل لها عند أمة من الأمم، ومن أراد أن يقف على هذا المعنى فليجرب حفظ قصيدة كتبت بلغة يجهلها، وسوف يشهد معنى أن حفظ الجموع الكاثرة من الأعاجم برهان ساطع على أنه من عند الله، فقد يسر الله تلاوته على الصغير والكبير، والعالم والجاهل، والعربي والأعجمي، وذلك مصداق لقوله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ



مَذْكِرٌ { [القمر: ١٧]، فهذا التيسير لا يكون إلا لعظمة تعجز عن بلوغها قوى البشر.

وكان النبي ﷺ يستوثق من المكتوب بإعادة قراءته عليه لمراجعته وتوثيقه، قال زيد بن ثابت: كُنْتُ أَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ أَخَذَتْهُ بَرَحَاءُ شَدِيدَةً، وَعَرِقَ عَرَقًا شَدِيدًا مِثْلَ الْجَمَانِ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقِطْعَةِ الْكِتَفِ أَوْ كِسْرَةٍ، فَأَكْتُبُ وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ، فَمَا أَفْرَغُ حَتَّى تَكَادَ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقَلِ الْقُرْآنِ، وَحَتَّى أَقُولَ: لَا أَمْشِي عَلَى رِجْلِي أَبَدًا، فَإِذَا فَرَغْتُ قَالَ: «افْرَأْهُ»، فَأَقْرؤُهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ سَقَطٌ أَقَامَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ بِهِ إِلَى النَّاسِ^(١).

١٣ - وحتى لا يختلط القرآن بغيره من الحديث نهاهم في أول الأمر أن يكتبوا شيئاً غير القرآن، فقال ﷺ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهِ»^(٢).

^(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٩١٣)، والكبير (٤٨٨٨).

^(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٤).

وهذا كله استيثاقٌ وحفظٌ لكتابِ الله من أن يختلطَ به غيره، مع أن السنةَ وحيٍّ من الله كالقرآن، ولكن لكل مكانه.

١٤- وقد كُتِبَ جميعُ القرآنِ المُنزَلِ على النبي ﷺ في الصحفِ واللِّخافِ والجلودِ ونحوِ ذلك، حتى قبضَ النبي ﷺ وهي كذلك وفي بيته.

ثم بعد وفاة النبي ﷺ، وفي عهد أبي بكر الصديق ﷺ، كانت حروبُ الردّة، وكانت معركةُ اليمامةِ التي قُتِلَ فيها قرابةُ الألفِ من الصحابةِ ﷺ وكثيرٌ منهم حفاظٌ للقرآن، فاقترحَ عمرُ على الصديق ﷺ جمعَ القرآنِ في مصحفٍ واحدٍ خشيةَ ضياعِه بوفاةِ المزيدِ من القُرّاءِ، واتفقَ الصحابةُ على ذلك، وانتدبَ لذلك زيدُ بنُ ثابتٍ ﷺ الحافظُ الثقةُ الثَّبتُ الكاتبُ القارئُ، فقامَ بجمعه ومعه فريقٌ من الصحابة، من الرِّقاعِ والأكتافِ والعُسبِ وصدورِ الرجالِ، حتى تمَّ جمعُ جميعِ القرآنِ في هذه الصُّحفِ التي كُتِبَتْ.



١٥- وكانت الصُّحُفُ التي جُمِعَ فيها القرآنُ عند أبي بكرٍ حتى تَوَفَّاه الله، ثم عند عمرَ حتى تَوَفَّاه الله، ثم عند حفصةَ بنتِ عمر^(١)، ثم أخذها عثمانُ فنسخَها في المصاحف.

١٦- وزيدُ بنُ ثابتٍ لم يعتمدْ على محفوظاته ومحفوظات الصحابةِ فقط؛ بل بحثَ عن المكتوبِ بين يدي النبي ﷺ، واشترط لقبوله أن يوثقَ بشهادةِ عدلينِ يشهدانِ بكتابته من إملاءِ النبي ﷺ. حتى قام عمرُ بنُ الخطاب في الناسِ وقال: مَنْ كان تلقى من رسولِ الله ﷺ شيئاً من القرآنِ فليأتنا به، وكانوا قد كتبوا ذلك في الصُّحُفِ والألواحِ والعُسْبِ، وكان لا يقبلُ من أحدٍ شيئاً حتى يشهدَ شهيدان^(٢).

وكان الغرضُ ألا يكتبَ إلا من عَيْنٍ ما كُتِبَ بين يدي النبي ﷺ، لا من مجردِ الحفظِ، مع ثوثيقِ ذلك بشهادةِ شاهدينِ على الأقلٍ يشهدانِ أنه كُتِبَ بين يدي النبي ﷺ.

^(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

^(٢) ابن أبي داود في المصاحف (٢٣).

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: فَقُمْتُ فَتَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الرَّقَاعِ وَالْأَكْتافِ، وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٢٨) ... { [التوبة: ١٢٨] إِلَى آخِرِهِمَا ^(١).

وقد جعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين كما صحَّ في الحديث، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، قَالَ: لَمَّا نَسَخْنَا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ فَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ، كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرُؤُهَا لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ، إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] ^(٢).

الذي انفرد به خزيمة هو كتابتهما، لا حفظهما، فكان الصحابة كلهم يحفظونهما، فهما ثابتتان بالتواتر، فالمتواتر هو

^(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

^(٢) أخرجه البخاري (٤٧٨٤).

الذي يرويه جمعٌ يستحيل عادةً تواطؤهم على الكذب، ولو لم يكتبه واحدٌ منهم، فكتابةُ خزيمة كانت توثيقًا واحتياطًا فوق ما يطلبه التواتر^(١).

فكان زيدٌ يحفظُهما وأبيُّ بن كعبٍ وغيرهم من الصحابة.

روى ابنُ أبي حاتمٍ في التفسيرِ وأحمدٌ وغيرهم: عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي مَصَاحِفَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ رِجَالٌ يَكْتُبُونَ وَيُمْلِي عَلَيْهِمْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ بَرَاءةٍ: {ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} [التوبة: ١٢٧]، فَظَنُّوا أَنَّ هَذَا آخِرُ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُمْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِي بَعْدَهَا آيَتَيْنِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}...، إِلَى: {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، ثُمَّ قَالَ: هَذَا آخِرُ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: فَخُتِمَ بِمَا فُتِحَ بِهِ، بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَمَا

^(١) مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٩٨).

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] ^(١).

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَرَأَ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة: ١٢٨]؛ يَعْنِي: مِنْ أَعْظَمِكُمْ قَدْرًا ^(٢).

فالشاهد أن هاتين الآيتين كانتا محفوظتين عند الصحابة رضي الله عنهم، ولكنَّ البحث كان عن كتابتهما، فكانتا عند خزيمة، وإن كان حفظُ الصدور وثبوته متواتراً كافياً وحده؛ ولكن زيادةً توثيقاً وحفظاً وتصديقاً.

١٧- وفي عهد عثمان بن عفان قديم حذيفة بن اليمان إلى الخليفة يشكو إليه اختلاف المسلمين في القراءة بسبب جهل الكثيرين بالحكمة من الأحرف السبعة والإذن بالقراءة بها، فجعل

^(١) أخرجه أحمد (٢١٢٢٦)، وابن أبي حاتم (١١٧٢).

^(٢) أخرجه الحاكم (٢٩٤٥)، وقراءة {أَنْفُسِكُمْ} ﴿١٢٨﴾ بفتح الفاء هي قراءة ابن مُحَيِّصَن طريق ابن أبي يزيد، ومحبوب عن أبي عمرو. انظر: الكامل في القراءات العشر (ص ٥٦٥).



بَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّ حَرْفَهُ أَصْحَحُ مِنْ حَرْفٍ غَيْرِهِ، وَحَصَلَ بَيْنَهُمْ مِرَاءٌ فِي الْأَحْرَفِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِهَا جَمِيعًا؛ لَيْسَهُلَّ بِهَا الْقِرَاءَةُ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَعْتَادُوا لُغَةَ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ حَذِيفَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى^(١).

فَاسْتَشَارَ عَثْمَانُ رضي الله عنه الصَّحَابَةَ فِي إِعَادَةِ نَسْخِ الْقُرْآنِ وَفَقَّ لُغَةَ قُرَيْشٍ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَوَافَقُوهُ عَلَى ذَلِكَ، عَلَى أَنْ يُكْتَبَ بِطَرِيقَةٍ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَحْرَفِ وَالْقِرَاءَاتِ الْمَنْزُولَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَكَوَّنَ عَثْمَانُ رضي الله عنه لَجْنَةً مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ صَحَابِيًّا مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ الْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَخَذُوا مَصْحَفَ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ وَبَدَأَتْ اللَّجْنَةُ كِتَابَتَهُ وَفَقَّ لِسَانِ

^(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

قريش، وقال عثمان رضي الله عنه لِلَّجَنَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاکْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ^(١).

فلم يختلفوا في شيءٍ إلا في كلمة: «التَّابُوت»، فَقَالَ الْقُرَشِيُّونَ: «التَّابُوتُ»، وَقَالَ زَيْدٌ: «التَّابُوهُ»، فَرَفَعَ اخْتِلَافَهُمْ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَقَالَ: اكْتُبُوهُ: «التَّابُوتُ»؛ فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ^(٢).

وتكامل الجمعُ العثماني بإجماع الصحابة، وَرَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَفْقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ^(٣).

وذلك بإجماع الصحابة والمسلمين عموماً، وهذا من عظيم حفظ الله عز وجل لكتابه الكريم.

وهكذا وثق النصُّ القرآني كتابةً في المصاحف، كما وثق حفظاً في صدور الحُفَاطِ من الصحابة ومن بعدهم، وتناقله المسلمون

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).



جيلاً بعد جيل، تحفظه الألف المؤلفة، والملايين الكثيرة،
ويؤلونه من العناية ما لا مثيل له في أمة من الأمم؛ لأن الذي تكفل
وتولى حفظه هو الله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: {إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩]، {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ
﴿١١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤١-٤٢]. فالحمد لله أولاً وآخراً.

المبحث الثاني فوائد في جمع القرآن وعدد سُورِهِ

جُمِعَ القرآنُ في الصُّحُفِ والوثائقِ في عهدِ النبي ﷺ .

وكان العهدُ الأولُ بعد الرسول ﷺ في عهد أبي بكرٍ الصديقٍ بجمعِ الوثائقِ الخطيةِ وضمِّها وترتيبِ سُورِها دون إعادة كتابتها من جديد.

وكان الجمعُ الثاني بإعادة كتابةِ الوثائقِ النبويةِ في مصحفٍ ونقله نقلاً أميناً دون أدنى تغييرٍ أو تبديلٍ، ومن هذا المصحفِ الإمام الذي جمعه ونسخه عثمانٌ نُسخَت منه أربعة مصاحفٍ أو سبعة، ثم وُزِّعت على الأمصار؛ الحجاز، والبصرة، والكوفة، والشام، وهذا النسخُ مثل التصويرِ الضوئيِّ، لا يزيد ولا ينقص.

فهو تعدُّدُ نسخٍ لا تعدُّدُ كلامٍ، فهو كالكتابِ الذي يُطبعُ منه آلافُ النسخِ، والمادةُ واللفظُ واحدٌ لم يتغيَّر.



ومصاحفُ الأفرادِ المنسوخةِ من عهدِ أبي بكرٍ أو قبله أحرَقَها
عثمانُ رضي الله عنه واستبعدَها؛ لمنعِ وجودِ خلافٍ بينَ المسلمين في ذلك،
ولأنَّ العملَ الفرديَّ عُرضَةً للخطأِ والسهوِ والنسيانِ.

ما استُحدثَ من إضافاتٍ كالنَّقْطِ والتشكيلِ وعلاماتِ الوقفِ
والوصلِ ونحوِ ذلك: كُلُّها إجراءاتٌ خارجيَّةٌ لا علاقةَ لها بأصلِ
النصوصِ المُنزَلَةِ، فالنصُّ هو هو لا زيادةَ فيه ولا نقصانَ.

اختلافُ بعضِ المصاحفِ في عددِ السورِ أو عددِ الآياتِ أو
الكلماتِ أو الحروفِ لا يُخرِجُ المصاحفَ عن الوَحْدَةِ والتطابقِ
التامِّ بينها، فمثلاً: بعضُ المصاحفِ تَعْتَبِرُ سورةَ الأنفالِ والتوبةِ
سورةً واحدةً، ولذلك نجدُها (١١٣) سورة، وبعضُها يضيفُ إلى
ذلك «الشرحَ» و«الضحى»، ويعتبرُهما سورةً واحدةً، وكذلك
«الفيلَ» و«قريشَ» سورةً واحدةً، فالمَتَنُ واحدٌ، والأصلُ واحدٌ،
وإنِ اختلفَ العددُ.

ومع ذلك نجدُ أنَّ المصحفَ الموجودَ بين أيدي المسلمين على اختلافٍ فَرَقَهُمْ واحدٌ في الخطِّ والعددِ والحروفِ.

وكذلك اختلافُ عددِ الآياتِ، فبعضُ المصاحفِ يعتبرُ آيتينِ آيةً واحدةً، وهكذا، فالنصُّ واحدٌ، والاختلافُ في العددِ لا مِساسَ لها بالمعدود، فالعددُ أمرٌ اعتباريٌّ خارجٌ عنها، ووصفٌ عارضٌ طارئٌ عليها.

المبحث الثالث

مَنْ قَالَ مِنَ الشَّيْعَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ عَثْمَانَ رضي الله عنه حَذَفَ مِنَ الْمَصْحَفِ

آيَاتٍ أَوْ سُورًا تَخَصُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

مَنْ قَالَ بِذَلِكَ فَقَوْلُهُ مُرَدُّهُ ابْتِدَاءً، وَذَلِكَ لِلآتِي:

أ- أَنْ الْحَاجَةَ إِلَى غَمْطِ حَقِّ عَلِيٍّ رضي الله عنه لَمْ يَكُنْ لَهَا وَجُودٌ فِي عَهْدِ عَثْمَانَ رضي الله عنه.

ب- لَوْ أَنَّ عَثْمَانَ رضي الله عنه أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فَهَلْ كَانَ الْحُقَافُ مِنَ الصَّحَابَةِ يَتَرَكُونَهُ يَعْثُ بِكِتَابِ اللَّهِ؟!



وحتى لو حدث ذلك لاشتَهَر وانتَشَر عند الكافَةِ أن عثمان رضي الله عنه فعل ذلك، وهذا لم يَحْدُثْ ولم يُعَلَمْ أبداً، وما كان الله سُبْحَانَهُ لِيُسَلِّطَ عثمانَ رضي الله عنه أو غيره من الصحابة على حذفِ شيءٍ مما أنزله الله؛ خاصةً أن الله قد تكفَّلَ بحفظِ كتابه.

ج- أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه كان موجوداً في الجمع ومشاركاً فيه، وقد أثنى على هذا الجمعِ هو والصحابةُ أجمعون.

د- أن مصحفَ الشيعةِ اليومَ هو نفسُ مصحفِ عثمان وأهلِ السُّنة، وقد أقرَّ أكابرُ علماءِ الشيعةِ بهذا المصحفِ، وكذَّبوا خلافة.

هـ- أن عثمانَ ذا النورينِ رضي الله عنه شَهِدَ اللهُ ورسولُهُ له بالعدالة، ومثْلُهُ يستحيلُ أن يَعْبَثَ بكتابِ اللهِ تعالى؛ بل هو ممَّن استعملَهم في حفظِ كتابه رضي الله عنه.

المبحث الرابع

الرد على طعن النصارى والملاحدة في القرآن من خلال جمعه

١- القرآن قبل جمعه في المصاحف كان محفوظاً في الصدور

كما أنزله الله بالحرف والنطق.

٢- والعرب كانوا في صدر الإسلام وقبله قليلي الكتابة، فكان

اعتمادهم على الحفظ، وكانوا ذوي ملكات في الحفظ لم يُماثلهم

فيها شعب ولا أمة، فكانوا يحفظون الشعر والنثر والنظم ونحوه

عن ظهر قلب.

٣- وحفظ القرآن كان أسهل عليهم من حفظ الشعر والنثر؛

لروعة نظمهِ ونقائهِ، وحلاوة جرسهِ وشرف معانيهِ، فوقع في

أنفسهم موقع السحر في شدة تأثيرهِ على العقول والقلوب

والمشاعر، فزاد اهتمامهم به، وكانوا يترقبون كلَّ جديد ينزل به



الوحي الأمين، فيجمعون بين حفظه والعمل به وتبليغه وتعليمه لغيرهم.

٤- وقد ساعدتهم على سهولة حفظه أمران:

الأول: نزوله مُنَجَّمًا مفرَّقًا على (٢٣) سنة حسب الوقائع والأحداث.

الثاني: خصائص النظم القرآني من روعة النظم، وصفاء الألفاظ وأحكام التراكيب والإيقاع الصوتي لأدائه متلوا باللسان، مسموعا بالأذان، وما فيه من معانٍ وإمتاع وإقناع... إلخ.

٥- فالحفظ كان العلاقة الأولى بين المسلمين وبين كتاب ربهم، ووسيلته السماع، وأول سماع في حفظ القرآن كان من جبريل الذي وصفه ربه بالأمين، وأول سامع من جبريل كان هو النبي محمدًا، الصادق الأمين، ثم كتَّاب الوحي الذين سمعوه من النبي ﷺ فور سماعه من جبريل، وكتبوه تلقياً وسماعاً من النبي ﷺ مباشرة.

٦- وتوثيقاً لهذا الحفظِ فقد يَسَّرَ اللهُ له أوثَقَ الطرقِ وأعلاها قدرًا؛ وهو أن النبي ﷺ يقرؤه على جبريلَ في كلِّ عامٍ مرةً في شهرِ رمضانَ، ثم في العام الذي مات فيه قرأه على جبريلَ مرَّتينِ زيادةً في التثبُّتِ والتوثيقِ.

٧- وفي زمن النبي ﷺ كان المرجعُ ما حُفِظَ في صدرِ النبي ﷺ، لا الرِّقَاعَ ولا الورقَ مع صحته، وكذلك في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كان الاعتمادُ على الحفظِ في الصدور دون الكتابة، وكانت حظوظُ الصحابةِ متفاوتةً في الحفظِ، فمنهم مَنْ حَفِظَهُ كاملاً، ومنهم مَنْ يحفظُ النصفَ، ومنهم... إلخ.

وقد زكى النبي ﷺ جماعةً منهم، وليس هذا معناه أنهم وحدهم هم الحُفَظاءُ، فالحُفَظاءُ الخاتمون للقرآنِ كثيرون.

٨- لما حدثت وقعةُ اليمامةِ وقُتِلَ فيها سبعون من الحُفَظاءِ أشار عمرُ على أبي بكرٍ رضي الله عنهما بجمع القرآن من الصُّحُفِ المُفَرَّقةِ ومن الصدورِ في مصحفٍ واحدٍ، وقد كان.



فلما مات أبو بكر تسلم عمر هذا المصحف، وبعد وفاته ظلَّ في حوزة أم المؤمنين حفصة بنت عمر، وكان هذا هو الجمع الأول للقرآن، ومع ذلك كان المعتمد على الحفظ ما في الصدور حتى الطبقة الأولى من التابعين.

٩- المرحلة الثانية لجمع القرآن في خلافة عثمان رضي الله عنه: وكان حافظاً متقناً لجميع القرآن، وسبب هذا الجمع هو اختلاف الناس وتعصبهم لبعض القراءات إلى حدِّ الافتخار بقراءة على أخرى، وشيوع بعض القراءات غير الصحيحة، وهذا ما حمل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه على أن يفزع إلى عثمان ويهيب به أن يدرك الأمة قبل اختلافها حول القراءات وتفرقها كاليهود والنصارى حول كتبهم وأسفارهم.

فقام عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف يجمع الناس حول أداء واحد وقراءة واحدة متضمنة الصلاحية للقراءات الأخرى الصحيحة، وندب لهذه المهمة أربعة من الحفاظ، على رأسهم زيد بن ثابت، الذي كان من كتبة الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان من الحفاظ

المتقين، تلقى القرآن مباشرةً من فم النبي ﷺ، وهو الوحيد الذي حضر العرصة الأخيرة للقرآن من النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، وهو الذي جمع القرآن في خلافة أبي بكر (الجمع الأول)، وكان معه عبد الله بن الزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم.

وكان منهج هذا الجمع يعتمد على أمرين:

الأول: المصحف الذي تم جمعه في خلافة أبي بكر.

الثاني: أن تكون الآية أو الآيات أو السورة محفوظة عند اثنين على الأقل حفظاً مطابقاً لما في مصحف أبي بكر، ويستثنى من ذلك شهادة خزيمة الأنصاري؛ فإن شهادته بشهادة رجلين.

قام هذا الفريق بجمع القرآن ونسخه في مصحف واحد قد أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، ولم يعارضه في ذلك أحد، حتى ابن مسعود الذي كان له مصحف خاص كتبه لنفسه، ثم تلقت الأمة هذا العمل بالرضا والقبول في جميع الأمصار والعصور، ونسخ



عثمانٌ عدةٌ نُسَخَ أرسلها إلى أقطارِ المسلمين، وحرَّق ما دون ذلك من مصاحفٍ.

فائدة: الوثائقُ الخطيَّةُ التي كُتِبَ فيها القرآنُ حرَّرت في حضرةِ النبي ﷺ إملاءً من فيه الطاهرِ على كتبةِ الوحي، ثم كانت تلاوتها عليه وإقراؤها منه كما تليت.

الجمع في عهد أبي بكرٍ كان جمعًا وحفظًا للوثائق والمحفوظات، وفي عهد عثمان كانت نسخًا ونقلًا.

السماعُ هو الوسيلةُ الوحيدةُ لحفظِ القرآنِ على مرِّ العصور، فالقرآنُ نزلَ ملفوظًا؛ لِيُسمَعَ، ولم ينزلْ مطبوعًا ليُقرأ، ولذلك قالوا: «لا تأخذِ القرآنَ من مُصحفي».

الجمعُ البكريُّ والعثمانيُّ لم يُدخِلا على رسمِ الآياتِ ولا نطقها أيَّ تعديلٍ أو تبديلٍ أو تغييرٍ.

الفترة النبويةُ التي سبقت جمعَ القرآنِ لم تكن فترةَ إهمالٍ للقرآن؛ بل كانت فترةً عنايةً شديدةً بالقرآن.

القرآن منذ أول آية نزلت منه حتى اكتمل وحيه لم تمر عليه لحظة غياب من المسلمين ولا غابوا هم عنه، فليست هناك فترة غموض ولا إبهام ولا اضطراب لتاريخ القرآن، كما هو الشأن في كتب اليهود والنصارى.

النَّقْطُ والضبط والتشكيل وعلامات الوقف ليست من التحريف أو التغيير أو الزيادة في النص القرآني؛ فهي زيادة إضافية لا تمسَّ جسم الكلمة من قريب ولا بعيد ولا الرسم العثماني؛ بل هي خارجة عن متون وأصول الكلمات؛ بل هي علامات صُنعت لخدمة النص القرآني ولتحسين تلاوته، فهي وسائل اصطلاحية متفق عليها، تُعين قارئ القرآن على أدائه أداءً صوتياً مُحكماً، ولو جرد المصحف منها ما نقص من كلام الله شيء.

فالنَّقْطُ وُضِعَتْ للتمييز بين الحروف، وقبل إضافتها كان السَّماعُ وما زال قائماً مقامها، فالحُفَاطُ المُتَقِنُونَ ليسوا بحاجة إلى هذه العلامات؛ لأنَّهم يحفظونه غَضًّا طَرِيًّا كما أنزل، أما غير الحُفَاطِ فهي تُرشدهم إلى التلاوة المثلى.



وتبدو فائدة النَّقْطِ عظيمةٌ جدًّا بعد دخولِ الأعاجمِ في الإسلام، وجَهْلُ الكثيرِ منهم بِلُغَةِ العرب، فتَعَدُّ من المصالحِ المُرْسَلَةِ التي استَحَسَنَهَا العلماءُ باتِّفَاقٍ؛ لِمَا فيها من التيسيرِ على قُرَّاءِ القرآنِ والإعانةِ لهم على حُسْنِ التلاوة، وهي شيءٌ لم يأمر به الشرعُ ولم ينه عنه، وتحقيقه المصلحة يقوم مقام الأمر به.

ولو أخذنا مثلاً يُبَيِّنُ لنا فائدة النَّقْطِ ففي قوله تعالى: {كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ}؛ يُمكنُ نطقُها (حبة) بالباء، أو (حنة) بالنون والحاء، أو (حية) بالياء، أو (خبة) بالحاء والباء، أو (جُنة) أو (حتة) بالحاء والتاء... إلخ.

أولُ مَنْ نَقَطَ حُرُوفَ المصحفِ جماعةٌ من التابعين منهم: أبو الأسود الدُّؤليُّ، ونصرُ بنُ عاصمٍ الليثيُّ، ويحيى بنُ يَعْمَرَ، والخليلُ بنُ أحمد، وكلُّهم من أكابرِ التابعين، تلاميذُ أصحابِ النبي ﷺ.

وكذلك علاماتُ الوقفِ جُعِلَتْ لخدمةِ النصِّ القرآني؛ من حيث معاني المفرداتِ، والتراكيبِ القرآنية، والحِكمِ البلاغية

ونحو ذلك، ومن حيث الأداء الصوتي وتذوق المعاني وإراحة القارئ.

علمًا بأن هذه المعاني والمحاسن من حقائق التنزيل وأصله، وكانت ملحوظة ومعلومة عند أهل القرآن من قبل وضع هذه العلامات.

وكذلك الشأن في تنسيق المصحف، بترقيم الآيات أو فاصل البسملة بين السورتين أو وضع خط تحت آيات السجود، وتقسيم القرآن إلى: أرباع، وأحزاب، وأجزاء.

فهذه كلها وسائل إيضاح وتوجيه لقراء القرآن توضع خارج كلمات الوحي لخدمتها، ولم يدع مسلم أبدًا أن هذه الأشياء من الوحي المنزل، أو أن لها قدسية الوحي.

وهذا التنسيق وارد في كل علم وكل كتاب كالهوامش والملاحق والفهارس والعناوين حتى في كتب اليهود والنصارى والمستشرقين وغيرهم.



المبحث الخامس

لماذا تكفل الله بحفظ القرآن دون حفظ الكتب السابقة؟

أولاً: إنزال الكتب من رعاية الله لخلقه؛ ليقوم أنبياءه ورسله بدعوتهم وتعليمهم ونصحهم وهدايتهم الصراط المستقيم، قال سبحانه: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٤٤﴾} [فاطر: ٢٤]، وقال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾} [الإسراء: ١٥].

ثانياً: أوكل الله مهمة حفظ الكتب للأمم التي نزلت عليها هذه الكتب والرسالات، تكليفاً واختباراً، كما قال الله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾} [المائدة: ٤٤].

ثالثاً: فرطت هذه الأمم في الأمانة التي كلفهم الله بها من حفظ كتبه، وذلك بالنسيان حيناً، وبالتحريف حيناً، وبالإخفاء حيناً.

كما قال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحِرفُونَ} الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾} [المائدة: ١٣-١٦].

رابعاً: كلما حرّفوا كتاباً أو نسوا بعضه أو أخفوا بعضه بعث الله لهم رسولاً جديداً بكتابٍ جديدٍ.

خامساً: لما أراد الله تعالى ختم النبوات والرسالات كان لا بدّ لحفظ الشريعة الخاتمة والكتاب الخاتم من حافظ أمين حفيظ لا يجوز عليه الإهمال ولا النسيان ولا التحريف، فكان الله تعالى هو



المتكفل بحفظ هذا الكتاب، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩].

ولذلك هيأ الله لتدوين كتابه وحفظه من كتاب الوحي ما لم يكن لغيره من الكتب، وجعل جمعه وعدا إلهيا وإنجازا ربانيا: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قُرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٦-١٩].

سادسا: من صفات القرآن أنه كتاب عزيز؛ أي: منيع محفوظ من العبث فيه وبه، وأنه ممتنع من الإبطال: {لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾} [فصلت: ٤٢]، {إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾} [الشورى: ٥١]؛ أي: عالٍ فوق تطاول المتطاولين.

وأنه {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾} [الواقعة: ٧٨]؛ أي: مَصُونٍ محفوظٍ من العبث واللعب والتحريف.

وقد شهد التاريخ بذلك، فعلى مرّ الأزمان تعرض المسلمون وكتبهم وتراثهم لعدوان المعتدين، وحدث للمسلمين تأخرٌ

وانحطاطٌ على مرِّ العصور، وظل القرآن العظيم عظيمًا عزيزًا منيعًا محفوظًا بحفظِ الله خيرِ الحافظين، {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٦٤].

المبحث السادس

هل القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ كما يزعم أعداء الإسلام؟

قال المُكذِّبون للقرآن: إن القرآن من تأليف محمد ﷺ، وإنه أخذه وألفه من كتب اليهود والنصارى وقصص الأولين!

- الجواب: هذه الشبهة ليست حديثة، وإنما هي قديمة منذ عهد النبي ﷺ؛ حيث قال بها الكفار من أهل الكتاب، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [٤١] وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان: ٤-٥]، ولم يثبت للنبي محمد ﷺ أي لقاء مع اليهود ولا النصارى، ولا يعلم بأي حالٍ أنه تلقى العلم على أيديهم.



- كان ﷺ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ حَتَّى مَاتَ، فَكَيْفَ بِهِ يُؤَلَّفُ

كِتَابًا كَهَذَا؟!

- إِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاذِبًا عَلَى اللَّهِ مُفْتَرِيًّا عَلَيْهِ بِنَسْبَةِ الْقُرْآنِ

إِلَيْهِ، فَكَيْفَ تَرَكَهُ اللَّهُ هَكَذَا، وَكَيْفَ نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّهِ، مَعَ كَثْرَةِ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَنَصْرَةِ دِينِهِ وَنَشْرِ دَعْوَتِهِ؟! فَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ الْوَارِدَةِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ أَنَّ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ الْكَذِبَ أَهْلَكَهُ اللَّهُ، فَكَمْ مِنْ مُدَّعٍ لِلنَّبُوَّةِ عَلَى مَرِّ الْأَزْمَانِ وَالْأَمَاكِنِ قَدْ أَهْلَكَهُ اللَّهُ، وَمَحَا ذِكْرَهُ.

- الْقُرْآنُ جَاءَ بِأَخْبَارٍ خَالَفَ فِيهَا الْمَشْهُورَ عِنْدَ الْيَهُودِ

وَالنَّصَارَى مِنَ الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ وَالتَّحْرِيفِ، مِثْلَ صَلْبِ الْمَسِيحِ وَالطَّعْنِ فِي أَنْبِيَاءِ اللَّهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَإِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ وَغَيْرِهِمْ، فَلَوْ كَانَ الْقُرْآنُ مُقْتَبَسًا مِنْ كِتَابِهِمْ فَلِمَاذَا خَالَفَهُمْ؟!

المبحث السابع

الدليل والبرهان على أن القرآن كلامُ الرَّحْمَنِ

أ- بلاغته وفصاحته: فلا قصورَ فيه، ولا عجزَ، ولا تناقضَ، ولا اضطرابَ.

والعربُ مع فصاحتهم وحذقهم وشدةِ عداوتهم للقرآنِ ونبِيِّه ﷺ لم يجدوا فيه مَطْعَنًا ولا مقالًا بذلك؛ بل اعترفوا أنه ليس من جنسِ خطبِ الخطباءِ، ولا من شعرِ الشعراءِ، وبعد أن نسبوه إلى أنه إفكٌ افتراه، وأنه أساطيرُ الأولين، آمنوا به وأتبعوه وشهدوا على أنفسهم بالكذب.

ب- إخباره بالأخبارِ الحاصلةِ في الأزمنةِ المستقبليةِ، وقد وقعَ كما أخبر، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: {لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ٢٧]؛ أي: فتح مكة، وقد حدث كما أخبر.



٢- قوله سبحانه {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾} [النور: ٥٥]، وقد حصل.

٣- قوله تعالى: {سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۚ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾} [الفتح: ١٦]،
وقد حدث.

٤- قال الله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾} [الفتح: ٢٨] وقد كان.
٥- قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾} [آل عمران: ١٢]، وقد وقع كما أخبر الله.

٦- قال سبحانه: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾} [الحجر: ٩٥]،

وقد كفاه الله كلَّ مَنْ استهزأ به.

٧- وقال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾} [المائدة: ٦٧]، وقد عصمه الله مع كثرة أعدائه وشدةِ عدائهم.

٨- وقال جلَّ وعلا: {غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ

مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بَنَصَرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾} [الروم: ٢-٥]، وقد حصل هذا بإجماع الكفار والمسلمين.

٩- وقال جلَّ جلاله: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾}

سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبْرَ ﴿٤٥﴾} [القمر: ٤٤-٤٥] وحدث ذلك في بدر.



وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

١٠-

لَهُو لَحَافِظُونَ ﴿٩٠﴾ [الحجر: ٩٠] (بخلاف التوراة والإنجيل)، وقد حفظه

الله على مرّ العصور والأزمان كما وعدَ وكما نرى.

وقال سبحانه: {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأُخْرَىٰ

١١-

عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ

﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

[البقرة: ٩٤-٩٥]، ولم ولن يتمنوه إلى يومنا هذا.

وقال تعالى: {وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

١٢-

عَبْدِنَا فَاتَّبِعُوا بُسُورَةَ مِّنْ مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ [البقرة: ٢٣]، ولم يأتوا إلى يومنا هذا.

وقال جل وعلا: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا

١٣-

أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۖ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴿٨٠﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٨١﴾ { [المسد: ١-

٨٠]، ومات أبو لهب كافرًا كما أخبر الله وإلى جهنم وبئس المصير.

ت - إخبار القرآن عن القرون الماضية والأمم السابقة الهالكة، والنبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجلس إلى علماء، ولا درس العلم مُسبقًا؛ بل وقد جاء بأخبار خالفت المسطور عند أهل الكتاب كالسب والطعن في الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ث - ما فيه من كشف أسرار المنافقين ومكرهم وأحوالهم.

ج - براءته من الاختلاف والتناقض مع كبر حجمه واشتماله على علوم كثيرة، {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

ح - كونه معجزة باقية في كل زمان ومكان مع تكفل الله بحفظه، بخلاف معجزات الأنبياء السابقين؛ فإنها تنقضي بانقضاء حياة نبيهم.



خ- قارئه لا يسأله وسامعه لا يمله؛ بل تكررُه يوجبُ زيادةَ محبَّته، بخلافِ كلامِ البشر، فكلَّما تكررَ كرهته النفوسُ ونفرت منه الطُّبَّاعُ.

د- سهولةُ حفظه وتعلُّمه وتيسيره للصغيرِ قبلَ الكبيرِ وللعربيِّ والأعجميِّ، فقد بلغَ حُفَّاظُه مئاةِ الألوفِ، بخلافِ الأناجيلِ والتوراةِ، فلا نجدُ مَنْ يحفظُها، وإن وجدنا مَنْ يحفظها فلن يبلغَ عددَ حافظي القرآنِ في قريةٍ من قرى مصرَ.

ذ- الخشيةُ والهيبةُ التي تلحقُ قلوبَ سامعيه وقارئيه حتى ولو لم يفهموا معانيه، بخلافِ نصوصِ العهدِ القديمِ التي تثيرُ الشهواتِ وتوجبُ الجنايةَ والغسلَ والوضوءَ!

المبحث الثامن

هل كان النبي ﷺ يُصرِّعُ عند نزول الوحي، كما يزعمُ أعداءُ الإسلام؟

يُجاب على هذه الفرية بما يلي:

أولاً: أن النبي محمدًا ﷺ بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كان أصحَّ الناسِ بَدَنًا، وأقواهم جِسْمًا، وأقواهم وأفضلهم عقلاً، وأرجحهم فكرًا وفهمًا ورأيًا، ولا يصابُ بالصرِّع مَنْ كان حاله كذلك.

ثانيًا: أن مريض الصرع يصابُ بآلامٍ حادَّةٍ في كافة أعضاء جسمه بعد انتهاء نوبة الصِّرع، ويظلُّ كثيرًا مهمومًا، وهذا لم يحدثُ للنبيِّ محمد ﷺ أبدًا؛ بل كان يفيقُ أسعدَ ما يكون، تاليًا لآياتِ الله الداعية إلى الخير والفضائل، الناهية عن كل سوء.

وما حزنَ النبي ﷺ إلا حينما فترَ الوحي، وانقطعَ فترةً من الزمن، حتى نزل قوله تعالى: {وَالْضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝} [الضحى: ١-٣].



ثالثاً: أن الوحي لم يكن يأتي النبي ﷺ على هذه الحالة إلا أحياناً، فكان جبريل يأتيه في صورة رجل، وهو الصحابي دحية الكلبي ﷺ، أو في صورة أعرابي، كحديث الإسلام والإيمان والإحسان، وغير ذلك.

روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين ﷺ، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة ﷺ: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(١).

رابعاً: أن الثابت علمياً أن المصروع في حالة الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلاً تاماً، فلا يدري في نوبته ما يدور حوله ولا

^(١) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

يشعرُ بنفسِه، ويغيبُ عن وعِيهِ، وتتوقَّفُ حركةُ شعوره، ويصبحُ بلا إحساسٍ وغير مُدرِكٍ.

ولكنَّ حالَ الرَّسولِ الكريمِ ﷺ كان بعدَ الوحيِ بخلافِ ذلك كله، فيكونُ في كاملِ قواه العقلية، ويتلو على الناسِ وحيَ الله تشريعاً مُحكَّماً، وعِظَاتٍ بليغةً، وأخلاقاً كريمةً، وآداباً ساميةً، وكلاماً بلغَ الغايةَ في الفصاحةِ والبلاغةِ، ويتحدَّى به العرب والعجمُ أن يأتوا بمثله، ولم يستطيعوا إلى يومنا هذا!

قال تعالى: {قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجُنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء: ٨٨].

خامساً: مَنْ طعن في النبيِّ محمدٍ ﷺ بذلك فقد طعن في جميع الأنبياءِ والرُّسُلِ؛ لأنَّ الرسولَ محمداً ﷺ لم يكن بدعاً من الرُّسُلِ في بابِ الوحي، وإنما أوحى اللهُ إليه كما أوحى إلى غيره من الرسلِ والنبين، قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ



وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾
[النساء: ١٦٣-١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ
مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى
حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ
مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾
[الشورى: ٥١-٥٣] ^(١).

^(١) كتاب الإسلام وقضايا العصر. د محمد أبو شهبه (ص ١٢٠).

المبحث التاسع

هل القرآن كلامٌ مفككٌ؛ لأنه نزلَ مفرّقًا حسبَ الأحداثِ على

مدارٍ (٢٣) عامّا كما يزعمُ أعداءُ الإسلام؟

قال الله تعالى: {وَفُرِّعْنَا لِنَفْهَمَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ

وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء: ١٠٦].

أولاً: نزولُ القرآنِ مُفرّقًا من مزايا القرآنِ، وليس عيبًا فيه؛ فإنه نزلَ مُراعياً للأحداثِ والوقائعِ على حسبِ مقتضى الحال؛ مما أدى إلى سهولةِ حفظِهِ وفهمِهِ واستيعابهِ والعملِ بهِ.

ثانياً: ليس هناك سببٌ يوجبُ نزولَ الوحيِ جملةً واحدةً؟ ومَن كان عنده سببٌ فليأتِ به: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ} [النمل: ٦٤].

ثالثاً: الكلامُ المفككُ هو الذي لا يناسبُ بعضُهُ بعضاً، سواءً من حيثِ المفرداتُ أو التراكيبُ أو المعاني، والقرآنُ ليس له مثيلٌ في إحكامِ نسجهِ، وتألفِ نظمِهِ، وصحةِ معناه، وصفاءِ عباراته، وسلامةِ لغتهِ من كلِّ عيبٍ أو قصورٍ.



رابعاً: أيُّ كتابٍ كلما كُتِبَ بشأنُ كان مُحْكَمًا مُتَقَنًّا، فَمِنَ الناسِ
 مَنْ يَكْتُبُ كِتَابًا فِي خَمْسِ سِنَوَاتٍ أَوْ فِي عَشْرِ أَوْ فِي أَكْثَرٍ أَوْ أَقَلٍّ،
 وَالْقُرْآنُ { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
 خَبِيرٍ ﴿٥٨﴾ } [هود: ١].

خامساً: قال اللهُ في القرآن: { سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي
 أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنََّّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٩﴾ } [فصلت: ٥٣]، وهذا كتابٌ نَزَلَ مِنْذَ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَلْفٍ
 وَخَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، عَالٍ عَلَى كُلِّ كَلَامٍ سَابِقٍ فِي مِيَادِينِ الْعُلُومِ
 وَالْمَعْرِفَةِ الْعُلُويَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمَحْفُوظُ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ.

المبحث العاشر

طعن أعداء الإسلام في القرآن بأنه كلامٌ مكرّر

يُجاب على ذلك بما يأتي:

١- التكرار في القرآن له وظيفتان: دينية، وأدبية.

فالتكرار من الناحية الدينية يكون لتقرير ذلك المكرّر وتوكيده وإظهار العناية به؛ ليكون في السلوك أمثلاً وللاعتماد أبين.

ومن الناحية الأدبية لتأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان.

٢- بعض القصص لم يكرّرها القرآن كعادته، مثل قصة يوسف وما فيها من الأحداث، وذلك لحرص الإسلام على صيانة الأعراض؛ لأن فيها محاولة إغراء على جريمة غير أخلاقية، لذلك فرغ القرآن من سوقها للعظة والاعتبار مرة واحدة.

٣- الغرض من القصص القرآني أمران:

الأول: تسليّة الرسول ﷺ والمؤمنين وتثبيت قلوبهم.

الثاني: تهديد وزجر للمخالفين، وبيان المصير إذا لم يقلعوا.

ودواعي هذين الغرضين متكرّراتٌ ومراتٌ، فالرسول ﷺ لم يكفَّ عن الدعوة للإسلام، والكفار لم يكفُّوا عن الإعراض والمخالفة.

وهذا التكرار لم يكن على نمطٍ واحدٍ، فهناك اختلافٌ في الصياغة، وهناك اختلافٌ في الطول والقصر وفي الأحداث التي تتناولها وطريقة عرضها، وهي بهذا جديدة متجددة دائماً، فيها رُوحٌ وطرفةٌ، وليس فيها سآمةٌ ولا مللٌ، وكذلك المعاني في كل موضعٍ، ليست لمجرد التهديد أو التسلية؛ ولكنها حقائقٌ يراد إثباتها؛ لتؤدّي دورها في كلِّ عصرٍ متى توفّرت دواعيها.

التكرار يحوّل المكرّر إلى معتقّدٍ، ولذلك كان التكرار من أهمِّ وسائل التربية والتثقيف، والعرب من عادتهم إذا اهتمُّوا بشيءٍ في خطابهم وأرادوا تحقيقه والدعاء إليه كرّروه تأكيداً له، والكلام إذا تكرّر تقرر وثبت في الصدور، والشيء كلما كثر ترداده سهل حفظه، ورسخ فهمه، وثبت ذكره، وكان بعيداً عن النسيان، وما من تكرارٍ في القرآن إلا وله فائدةٌ.

المبحث الحادي عشر هل في القرآن تناقضٌ لإيراده بعض الأسماء والصفات الأعجمية؟

يجابُ على ذلك بما يأتي:

قال الله تعالى عن القرآن: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾} [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وقال سبحانه: {قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾} [الزمر: ٢٨]، وقال: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾} [الدخان: ٥٨]، وقال: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٣﴾} [النحل: ١٠٣].

١- إن ما في القرآن من كلماتٍ غيرِ عربيةٍ الأصلِ إنما هي كلماتٌ مفرداتٌ أسماءٍ أعلامٍ، مثل: إبراهيم، ويعقوب، وإسحاق، وفرعون، وهذه أعلامٌ أشخاصٍ، وهي لا تُترجمُ، أو هي صفاتٌ، مثل كلمة: حَبْرٌ، أو طاغوتٌ، إذا سلَّمنا أنها أعجميةٌ.



٢- القرآن خالٍ تماماً من التراكيب غير العربية، فليس فيه جملة فعلية^{٢٦} أو إسمية^{٢٧} من غير اللغة العربية، فليس فيه مثلاً: what's your name، ولا: How are you؟، ولا غير ذلك.

٣- وجود مفردات أجنبية في أي لغة لا يخرج تلك اللغة عن أصالتها، والأسماء لا تُترجم، وإنما تُنطق وتكتب كما هي، كما نسمعه في نشرات الأخبار وترجمات الكتب والبحوث العلمية، ونحو ذلك.

٤- المفردات غير العربية الواردة في القرآن صارت عربية باستعمال العرب لها قبل الإسلام وقبل نزول القرآن، وبهذا الاستعمال فارقت أصلها غير العربي وعُدت عربية نطقاً واستعمالاً وخطاً.

٥- ورود هذه الكلمات (الأسماء والصفات) غير العربية الأصل - مع قَلَّتْها ونُدِّرَتْها - لا يخرج القرآن عن كونه عربياً {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾} [الشعراء: ١٩٥]، فكم كلمة عربية في القرآن؟ والكلمات الأعجمية فيه كم كلمة؟!

٦- الادعاء بأن هذه الألفاظ أعجمية غير صحيح مثل كلمة:

الله، الزكاة، آدم، السبت، الحور، السكينة، ونحو ذلك.

أ- لفظ الجلالة: الله، يقولون أنه لفظ عبري أو سرياني،

وكلامهم هذا محض كذب، فاسم الجلالة «الله» لا يوجد كذلك

إلا في اللغة العربية.

فاللغة العبرية تطلق عليه اسم: إيل، ألوهيم، أدوناي، يهوا،

يهوفا، وفي اليونانية: ألوي، إلي؛ أي: إلهي.

ب- أما الزكاة فهي عربية الأصل، من زكا يزكو، فهو زاك،

ومعناها الطهر والنماء.

ج- السكينة كلمة عربية بمعنى الثبات والقرار، ويتفرع عنها:

يسكن، ساكن، مسكن، أسكن وسكن بمعنى: أقام.

د- وغيرها مثل: آدم، الحور، السبت، السورة، مقاليد، عدن،

فكلها عربية الأصل.



المبحث الثاني عشر هل أوجه القراءات تناقض في القرآن؟

معنى القراءات: النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي ﷺ.

وبمعنى آخر: هي تعدد ألفاظ الوحي في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغير ذلك، مثل قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة: ١٢٨] بضم الفاء وكسر السين، وفي قراءة غير عاصم: {مِّنْ أَنْفَسِكُمْ} [١٢٨] بفتح الفاء وكسر السين^(١)؛ أي: من أركانكم وأطهركم وأتقاكم.

وهذا هو شأن القراءات في جميع القرآن العظيم. وينبغي أن نعلم أن كثيراً من الآيات خلّت من تعدد القراءات خلواً تاماً.

ومثال ثانٍ: قوله تعالى: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: ٤] فقرأها حفص {مالك}، وهي اسم فاعل بمعنى القاضي المتصرف في شؤون يوم الدين، وقرأها نافع وآخرون: {ملك}، وهي بمعنى

^(١) سبق التعليق على هذه القراءة.

أَعَمَّ مِنْ {مالك}؛ أي: مَنْ بيده الأمرُ والنهي ومقاليدُ كل شيءٍ ما ظهر منها وما بطنَ.

وكلا المعنيين لائقٌ بالله، وهما مدحُ الله عز وجل.

ومثالُ ثالثٌ: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴿٤٦﴾} [الفلم: ٤٦] فيها

قراءتان، الجمهور بضمِّ الياءِ وسكونِ الكاف وفتح الشين، وفي قراءة ابن عباسٍ: «تَكْشِفُ» بالتاء المفتوحة والشين المكسورة؛ بمعنى: يومَ تَكْشِفُ الساعةُ عن ساقٍ؛ أي: شِدَّةٌ^(١).

٣- يجب العلمُ أن القراءاتِ القرآنيةَ وحيٌّ من عندِ الله عز وجل، وهي كلماتٌ معدودةٌ ومحصورةٌ، وقد أحصاها العلماءُ وبيَّنوا وجوهَ القراءاتِ فيها بما هو ثابتٌ عن النبي ﷺ.

٤- الكلمةُ التي تُقرأ على وجهين أو أكثر يكونُ لكلِّ قراءةٍ معنىٌ مقبولٌ يزيدُ المعنى ويثريه، ولا يؤدي إلى خللٍ أو تناقضٍ أو اختلافٍ في آياتِ الكتابِ العزيز، بخلافِ تحريفِ التوراةِ والإنجيلِ؛ فإنها اختلافاتٌ وتناقضاتٌ من عندِ البشر، وصدق الله

^(١) انظر: المحتسب، لابن جني (٢/ ٣٢٦).



إِذْ يَقُولُ عَنِ الْقُرْآنِ: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتِلَفًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢].

٥- يعتمدُ اليهودُ والنصارى في الطعنِ في القرآنِ من خلالِ

القراءاتِ من وجهينِ أو لسبيينِ يعتقدونهما:

الأول: خلوُ المصحفِ وتجُرُّدُه من النقطِ في أولِ عهدِه.

الثاني: تجرُّدُ كلماتِه من ضبطِ الحروفِ (التشكيل).

فأخرجوا القراءاتِ من كونها وحيًا من عند الله إلى كونها

أوهامًا كان سببُها خلوُ الخطِّ العربيِّ في أولِ الأمرِ من النقطِ

والتشكيل.

ويُجاب على هذا الافتراءِ بما يلي:

أولًا: أن طريقَ تلقِّي الوحيِ (القرآن) كان السماعَ الصوتيَّ من

ربِّ العزةِ إلى يومنا، سماعٌ صوتيٌّ من جبريلَ ﷺ لمحمد ﷺ، ومن

محمد ﷺ إلى كتابِ الوحيِ أولًا، ثم إلى عامةِ المسلمين، ومن

كتابِ الوحيِ وحُفَاطِ الصحابةِ إلى مَنْ بعدهم إلى يومنا هذا، والله

الحمدُ والمِنَّة.

ليست كتابه القرآن في المصحف هي الأصل، ولن تكون، حتى إن علماءنا يقولون: «لا تأخذ القرآن عن مُصَحِّفٍ، ولا العلم عن صُحُفِيٍّ»؛ أي: عَمَّنْ اعْتَمَدَ فِي حِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ عَلَى نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَلَقَّهُ مِنَ الْحُقَاطِ، أَوْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ بِفَهْمِهِ هُوَ، وَلَمْ يَتَلَقَّهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ؛ وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنَ التَّلَقِّيِ وَالسَّمَاعِ، فَلْأَصْلُ وَالْفَرْعُ هُوَ تَلَقِّي الْقُرْآنِ سَمَاعًا بُوْعِي قَبْلَ أَنْ يُقْرَأَ مِنَ الْمَصْحَفِ، وَمَنْ حَفِظَ مِنَ الْمَصْحَفِ بغيرِ تَلَقُّ عَلَى الشُّيُوخِ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَلَا يُعْتَدُّ بِهِ.

وفي القرآن ألفاظٌ وعباراتٌ يستحيلُ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى نَطْقِهَا الصَّحِيحِ إِلَّا عَلَى الْحُقَاطِ الْمُتَقِينَ حَتَّى لَوْ ظَلَّ يَتَعَلَّمُهَا وَحْدَهُ أَيَّامًا وَشَهُورًا لَمَا اسْتَطَاعَ نَطْقُهَا.

وهذا من الإعجازِ في كتابِ الله تعالى، كما قال الله: {وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾} [النمل: ٦]، {لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٦-١٩]، {وَلَا



تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي
عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [طه: ١١٤].

ثانيًا: القراءاتُ الصحيحةُ مسموعةٌ من الله تعالى لجبريل،
ومن جبريل لرسول الله ﷺ، ومن رسول الله ﷺ لكتبه الوحي، ومنهم
لمن بعدهم... وهكذا إلى يوم القيامة.

فقد سمع المسلمون من رسول الله ﷺ: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} ﴿٦﴾ [الحجرات: ٦] بالباء والياء والنون،
وسمعوها منه {فَتَّبَبْتُوا} بالتاء والثاء والباء والتاء

وكلاهما مَوْحًى به من عند الله، وليست القراءتان ناشئتين عن
الاضطراب الحاصل من خُلُوِّ الْمُصْحَفِ من النقطِ والتشكيلِ أولِ
أمره.

وبين القراءتين علاقةٌ وثيقةٌ كعلاقةِ ضوءِ الشمسِ بقرصها،
فالتبين هو التفحصُ والتعقبُ في الخبرِ الذي يُذيعُه الفاسقُ،
والتثبیت هو ثمرة التبين فمن تبين فقد تثبت، ومن تثبت فقد تبين،
وهكذا في كل القراءات.

ثالثاً: بناءً على ذلك فالقراءاتُ وجهٌ من وجوه الإعجازِ في القرآن الكريم، وإن كره الكافرون.

٦- لقد وضع علماء المسلمين ضوابطَ مُحْكَمَةً للقراءاتِ الصحيحة التي هي وحيٌ من عند الله، وهي:

أ- صحة السند الذي يؤكد سماع القراءة عن الرسول ﷺ؛ بل تواتره.

ب- موافقة القراءة لرسم المصحف الشريف الذي أجمعت عليه الأمة في خلافة عثمان، والذي تم نقله وكتابته بنصه ورسمه من الوثائق النبوية المأخوذة من فم النبي ﷺ بلا تغيير أو تبديل، فكتابة المصحف بهذا الرسم سنة نبوية، وأجمع علماء المسلمين على تحريم كتابته بغير هذا الرسم المعروف بالرسم العثماني.

ج- أن تكون القراءة موافقةً لوجه من وجوه تراكيب اللغة العربية؛ لأن الله أنزله باللسان العربي المبين.

د- أن يكون معنى القراءة غير خارج عن قيم الإسلام ومقاصده في الأصول والفروع.



فلو نقصَ شرطٌ واحدٌ من هذه الشروطِ الأربعةِ تكونُ القراءةُ شاذةً غيرَ مقبولةٍ، ولا يُعتدُّ بها، وبذلك تميّزتِ القراءاتُ الصحيحةُ عن الشاذةِ والباطلةِ.

ولم يكتفِ علماءُ المسلمين بهذا فحسب؛ بل وضعوا المصنّفاتِ التي حصروا فيها القراءاتِ الصحيحةَ مع توجيهها من حيث اللغة والمعنى.

وجمع العلامةُ ابنُ جني رحمه الله (٣٩٢هـ) القراءاتِ الشاذةَ، وحصرها في جزأينِ كبيرين، في كتاب سماه: «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها».

٧- جَمَعَ عثمان رضي الله عنه المصحفَ من الوثائقِ النبويةِ بهذا الشكلِ كان لغرضينِ أساسيينِ هما:

الأول: إضفاءُ صفةِ الشرعيةِ على القراءاتِ المتنوعةِ والمتعددةِ للكلمةِ الواحدةِ، وحمایتها من وقوعِ الخلافِ بين المسلمين بشأنها.

الثاني: استبعاد ما لا يتطابق تطابقاً مطلقاً مع النص الأصلي الموجود بالوثائق النبوية المحفوظة في بيت النبي ﷺ؛ وقاية للمسلمين من الوقوع في الخلاف، وحماية للنص القرآني من أي تحريف نتيجة إدخال بعض العبارات المختلف عليها، أو أي شروح يكون الأفراد قد أضافوها إلى مصاحفهم.

٨- قد شهد كثير من هؤلاء المستشرقين أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي هو كلام الله الخالي من أي تحريف أو تبديل، مثل المستشرق (لوبلو) قال: «القرآن اليوم هو الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر».

وقال المستشرق (د.موير): «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر؛ بل نستطيع أن نقول: إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها المتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا



الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى عهد الخليفة عثمان الذي مات مقتولاً.

قلت: وإذا نظرنا إلى كتب النصارى نجد أن كل فرقة منهم تعترف بأناجيل تنكرها الأخرى؛ بل إن الإنجيل الواحد المتفق عليه عندهم نجده مختلفاً في نسخة كل فرقة عن الأخرى؛ بل تجد النسخة الواحدة مختلفة في طبعاتها المختلفة، أما القرآن فهو الكتاب الوحيد المعصوم المحفوظ من التناقض أو التحريف^(١).

^(١) انظر: كتاب وزارة الأوقاف في الرد على المستشرقين (ص ٧).

المبحث الثالث عشر

هل الحروفُ الْمُقْطَعَةُ في أوائلِ السُّورِ لا قيمةَ لها ولا

معنى كما يزعمُ أعداءُ الإسلامِ؟

١- هذه الحروفُ التي بدأت بها بعضُ السُّورِ فهِمَّت منها الأمةُ أكثرَ من عشرين معنى، وكونُ أعداءِ الإسلامِ لا يفهمون فجعلهم ليس بحُجَّةٍ على المسلمين.

٢- لو فرضنا جدلاً أن هذه الكلمات لا نفهم معناها فهل يُعقل أن يُحكَمَ على القرآنِ كله بأنه كلامٌ عاطلٌ من أجلِ ٢٨ كلمةً غيرَ معلومةٍ المعنى عند الجُهَّال، علماً بأن القرآنَ كله (٦٢٣٦) كلمةً، فهل يُطعنُ في كلِّ هذا من أجلِ ٢٨ كلمةً على حسبِ زعمِ هؤلاء الضالين الجاهلين؟!

٣- لو كانت هذه الحروفُ كلاماً عاطلاً لَطعنَ عليها كفارُ العربِ وفصحاؤهم وقتَ نزولِ القرآنِ، وهم أهلُ اللغة، ولم يثبتْ عنهم ذلك أصلاً. فهل يجوزُ للمستشرقين والجهلاء أن يقولوا ذلك؟!



وهذه الحروفُ الْمُقَطَّعَةُ التي ذُكِرت في أوائلِ السورِ ذُكِرتُ
 فيها بيانًا لإعجازِ القرآنِ، وأن الخلقَ عاجزون عن معارضتهِ بِمِثْلِهِ،
 مع أنه مُرَكَّبٌ من هذه الحروفِ الْمُقَطَّعَةِ التي يتخاطبون بها.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ!

آمِينَ آمِينَ!

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٦	المبحث الأول: كيف حفظَ اللهُ القرآنَ في الصدور والمصاحف؟
٢٩	المبحث الثاني: فوائد في جمع القرآن وعدد سُورَه
٣١	المبحث الثالث: مَنْ قال مِنَ الشَّيْعَةِ وغيرِهِم أن عثمانَ رضي الله عنه حذفَ مِنَ المصحفِ آياتٍ أو سورًا تخصُّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ فقولُه مردودٌ
٣٣	المبحث الرابع: الرد على طعنِ النَّصارى والملاحدة في القرآن من خلال جمعه
٤٢	المبحث الخامس: لماذا تكفلَ اللهُ بحفظِ القرآنِ دون الكتبِ السابقة؟
٤٥	المبحث السادس: هل القرآنُ الكريمُ من تأليفِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم كما يزعمُ أعداءُ الإسلام؟
٤٧	المبحث السابع: الدليل والبرهان على أن القرآنَ كلامُ الرَّحمن



- المبحث الثامن: هل كان النبي ﷺ يُصرِّعُ عند نزول الوحي، كما يزعمُ أعداءُ الإسلام؟ ٥٣
- المبحث التاسع: هل القرآنُ كلامٌ مفكَّكٌ؛ لأنه نزلَ مفرَّقًا ٥٧
- حَسَبَ الأحداثِ على مدارِ (٢٣) عامًا كما يزعمُ أعداءُ الإسلام؟
- المبحث العاشر: طعنُ أعداءِ الإسلامِ في القرآنِ بأنه كلامٌ مكرَّر ٥٩
- المبحث الحادي عشر: هل في القرآنِ تناقضٌ لإيراده بعضَ الأسماءِ والصفاتِ الأعجمية؟ ٦١
- المبحث الثاني عشر: هل أوجهُ القراءاتِ تناقضُ في القرآن؟ ٦٤
- المبحث الثالث عشر: هل الحروفُ المُقطَّعةُ في أوائلِ السورِ لا قيمةَ لها ولا معنى كما يزعمُ أعداءُ الإسلام؟ ٧٣